# أدَب الأسرى الفلسطينيين:
# وثائق تبيِّن شراسة السَّجَّان.. وتحفظ للوطن تاريخه

عزيز العصا

(باحث دكتوراه) - معهد القدس للدراسات والأبحاث/ جامعة القدس

## ملخص

تنــاول الباحث في هذه الورقــة عددًا من إبداعــات أدبية بأقلام أســيرات وأسرى فلســطينيين، تم نشرها ورقيًّا، ســواء وهم خلف القضبــان، أو أسرى محررون كتبوا عن تجاربهم الاعتقالية وتجارب رفاق القيد والزنزانة. وتوزعت مصادر الدراســة بين الرواية والقصة والسيرة الذاتية والســيرة الغيرية... إذ قام الباحث بتحليل اثني عشر عملًا أدبيًّا، لأسرى وأسيرات، وسبر أغوارها، لاستخراج مكنوناتها الفكرية وأهدافها ومراميها الثورية والوطنية، ومخزوناتها المعرفية.

وُجِد أن الأسرى والأسيرات في كتاباتهم، في الأجناس الأدبية المختلفة، يحملون بذور تجاربهم الأولى، ونموّهــا وتطورها، حتى اكتملت وأصبح الأســير قادرًا على الفعل والتأثير، والقفــز عن عوامل الخوف والقلق كافة، التي تكــون قد خيّمت على حياته في بدايــات التجربة الاعتقالية. مما يفسّر القدرة الجمعيّــة الفائقة للأسرى في مواجهة

السّـــجّان وقوانينه ولوائحـــه وقراراته وكسرها؛ بإجباره على التراجع عنها وتحســـين ظروف الســـجن للحدّ الذي أصبح معه الفرق شاســـعًا بين حيـــاة الأسرى وأجواء السجن في أواخر ســـتينيات القرن العشرين وسبعينياته وثمانينياته. وإن ما يتوفر حاليًّا من (تحســـينات!) قد انتزعها الأسرى من خلال مواجهات متعددة الأشكال، لاسيما معارك الأمعاء الخاوية التي خاضها الأسرى، ولا يزالون يخوضونها، جماعة وفرادى، وغيرها من أشكال المواجهة.

ووُجِد أنه في جميع تلك الأعمال، يظهر الوجه البشع للسَّجَّان، الذي لا يرعى في الأسير إلًّا ولا ذمة؛ فلا مراعاة لمريض، ولا لمُقعـــد ولا لعجوز، مهما كانت حالته متردية. كما تبين أن الأسرى والأســـيرات قفزوا على القيد وجدران السِّجن الشاهقة، وتواصلوا مع مجتمعهم الفلســـطينيّ، وكانوا هم القادة الذين يديرون دفَّته بعناية ورجاحة عقل. كما وُجِد أن تلك الأعمال أنصفت المرأة الفلســـطينية، وأبرزت دورها في جميع مراحل الصراع مع الاحتـــلال؛ عندما اصطفـــت إلى جانب الرَّجل، فقاتلت واستشـــهدت وأُسِرت، ووقع عليها الظّلم والجَوْر من الاحتلال كما وقع على الرَّجل وبلا هوادة.

**الكلمات المفتاحيَّة: الأسير، أدب الأسرى.**

## مقدمة

احتلت بريطانيا فلسطين بعد خمسة أسابيع من وعد بلفور (كان ذلك في 2/ 11/ 1917). إذ جـــاءت بريطانيا العظمى بجيوشـــها المدرّبة أفضل تدريـــب، وتمتلك أفضل عتاد، والخارجة من تجربة حرب عالمية تواصلت على مدى أربع ســـنوات، (حذفت فجاءت للتكرار) لتحقيق هدفها الإستراتيجي المعلن؛ وهو تنفيذ وعد بلفور المذكور، القاضي بإقامة دولة لليهود على أرض فلسطين، وذلك بالتحالف المطلق مع الحركة الصهيونية. فالتفت الشـــعب الفلســـطيني لذلك، وشرع بمقاومة هذا الاحتلال، منذ اللحظات الأولى، وتطورت هذه المقاومة، من الســـلمية إلى المســـلحة. فشهدت فترة الاحتلال البريطاني (1917م- 1948م) -أي حتى إقامة الدولة اليهودية سنة -1948 معارك كرّ

وفر بين الثوار الفلسطينيين وكلٍّ من: بريطانيا وحليفتها الحركة الصهيونية، قدم خلالها الشعب الفلسطيني آلاف الشهداء والأسرى والجرحى... وفي كثير من الأحيان كان أمر الأسير ينتهي بالإعدام.

ومنذ احتلال إسرائيل لما تبقى من فلسطين سنة 1967م، اشتعلت المقاومة المسلحة في أرجاء الوطن الفلسطيني كافة؛ حين اندفع الشباب الفلسطينيون، ومعهم أحرار الأمة من مختلف الأقطار، في حرب شعبية قدّم خلالها الشعب الفلسطيني المزيد من الشهداء، والأسرى، والجرحى، والمعاقين، والمشردين خارج منازلهم التي هدمها الاحتلال بلا رحمة[1].

وفي أوج الصراع مع الاحتلال، كان الأسرى هم الشريحة الأكثر احتكاكًا بالاحتلال، وبالتالي الأكثر فهمًا وإدراكًا لأهدافه ومراميه وسلوكياته. فجميع أفراد منظومة السجن، ومكوناتها؛ من السجّان، والمحقق، والطبيب... الخ، ممن يتعاملون مع الأسرى، يمارسون إستراتيجيَّة الاحتلال القائمة على «قتل» روح انتماء الفلسطيني إلى قضيته، والقضاء على أي نفس للمقاومة؛ من خلال عوامل الإحباط التي يسعون لإشاعتها في نفوس الأسرى بالذات.

نظرًا لأنه لا يكاد بيتٌ فلسطيني يخلو من أسير أو أكثر، وإذا ما علمنا بأن نحو مليون فلسطيني مرّوا بتجربة الأسر، بمددها المختلفة، فإننا نكون أمام مدى واسع من الإمكانيات المتعلقة بالتوثيق لتجارب الأسْر وانعكاساتها على المسيرة الوطنيَّة للشعب الفلسطيني، بمختلف الوسائل؛ المكتوبة والشفوية، ولعلّ أكثرها وضوحًا وديمومة تلك الكتابات التي تشكل في مجموعها «أدب الأسرى».

يستعرض الباحث في هذه الورقة، ما جاء في اثني عشر إصدارًا من أجناس أدبية مختلفة، بأقلام الأسرى الفلسطينيين؛ منهم من كتبها وهو يربض بين جدران السجن، ومنهم من استذكرها بعد تحرره، وقد صدرت في القرن الحادي والعشرين، بين عاميّ (2010 و2021). إذ تأتي هذه الورقة، المقدمة لمجلة المقدسية -العدد -14 (ربيع 2022) نتاج

قــراءات تحليليَّة لهذه الأعمال الأدبية، التي جــاءت خلاصة تجارب الأسْرى بصورها المختلفة..

## مُشْكِلَةُ الدِّراسةِ

باطِّــلاعِ الباحِــثِ، وهو ناقــد أدبيّ، على عَديدٍ مِــنَ الكتابات وتحليلها وســبر غورها، واســتخلاص مكنوناتها الفكرية، وتقدير مدى أهميتها في حياة الفرد والمجتمع، وجد أن للكتابات المنتمية إلى أدب الأسرى ميزة لا تــكاد تتكرر في غيرها من الكتابات؛ لما تتمتع به من محتويات جاذبة للقارئ، وما تحمله من مزيج من أنين وعذابات ووحشية السجّان، وبطولات وإبداعــات في البحث عن الفــرح والسرور والاحتفــال. وكان الباحث قد اســتعرض قراءة نقدية لعدد من الأعمال الأدبية عام 2020 (تغطي الفترة 2010 و2015)، في مؤتمر خاص بالأسرى قام عليه مركز أبو جهاد للحركة الأسيرة (غير منشور).

## أهدافُ الدِّراسَةِ

تَسْعى الدِّراسةُ إلى تَحْقيقِ الأهدافِ التّاليةِ:

1) التَّعرُّفِ إلى تجارب الأسرى الفلسطينيين في مواجهة السّجّان الإسرائيلي.

2) الاطلاع على نوع مختلف من الأدب، وهو «أدب الأسرى».

3) التَّعرُّفِ إلى دور الأســير الفلســطيني في التوثيق لقضيته (الفلسطينية) التي ضحّى دفاعًا عنها.

4) التَّعرُّفِ إلى دور الأسير الفلسطيني في متابعة قضايا شعبه وهمومه رغم القيد وشراسة السجّان.

## أهَمِّيَّةُ الدِّراسةِ

تَمتازُ هذِهِ الدِّراسةُ، حَسَب عِلْمِنا، بأنَّها تُسلِّطُ الضَّوْءَ على نصوص تعتبر، في معظمها، مصادر مهمة جــدًّا في التوثيق للقضيَّة الفلســطينيَّة، والتوثيق لممارســات الاحتلال

وقسوته وشراسته في التعامل مع الأسرى، الذي لم يُعرف عنه يومًا أنه منح الأسرى الفلسطينيين ما تأمر به المواثيق الدوليَّة، سوى ما تمكن الأسرى من انتزاعه بإرادتهم وإصرارهم واستخدامهم لأدوات الصراع التي يمتلكونها، والتي وصلت ذروتها عند الإضراب حتى الموت، كتعبير عن إرادة التحدي لذلك المحتل الذي ليس له إلٌّ ولا ذمة. كما أنّ الكتّاب، وهم جميعهم أسرى، وظّفوا أقلامهم أفضل توظيف في متابعة قضايا الشعب الفلسطيني وهمومه في مختلف المجالات، التي سيتم التطرق لها في سياق هذه الورقة.

## مُحَدّداتُ الدِّراسةِ

اقْتَصَرَتْ هذِه الدِّراسةُ على محدَّد زمانيٍّ يبدأ باستكمال احتلال فلسطين سنة 1967م، وما بعدها. وأمّا المحدّد المكانيّ، فهو السجن، أينما كان على أرض فلسطين.

## مُجْتَمَعُ الدِّراسةِ

تَكَوَّنَ مُجْتَمَعُ الدِّراسةِ مِنَ كتابات عشرة من الأسرى والأسيرات الفلسطينيين، توزعت على أجناس أدبية مختلفة.

## إِجْراءاتُ الدِّراسةِ

قامَ الباحث بإجراء قراءات نقدية- تحليلية للكتب قيد النقاش، كل على حدة؛ فسبر غورها، واستخرج مكنوناتها، وكتب عنها، وناقشها في ندوات مختلفة. وقام في هذه الدراسة بالربط فيما بينها، وجمع التكرارات والأفكار والرؤى المشتركة بينها، فيما يشبه قراءات المقارنة.

## أدب الأسرى

**الأدب** مرآة الحياة؛ لأنه يفسّر الحياة ويستخرج معانيها، وهو روح العصر ونتاج المجتمع[2]. وهناك مجموعة من العناصر التي إذا اجتمعت، معًا، فإنها تنتج أدبًا، وهي[3]:

1) **العاطفة**؛ وهي أظهر ميزة في الأدب، وفي بعض أنواع الأدب تكون الحاجة إليها أشد من أي عنصر آخر.

2) **الخيال**؛ إذ دونه يكون من المستحيل، في أغلب الأحيان، أن تستثار العاطفة.

3) **المعاني**؛ وهي أساس كل نوع من أنواع الفن إلا الموسيقى، وفي بعض أنواع الأدب يكون هذا العنصر أهم ما فيه كالحكم والأمثال.

4) **نظم الكلام وتأليفه**؛ وهو ليس غاية، ولكنه وسيلة للتعبير عما لدينا من أفكار[4].

والكتابة حوار صريح مع النفس، ومع العالم، ومع الثقافة[5]. وأبان الناقد الفرنسي «تين» أن الأدب يخضع لثلاثة عناصر، هي: الجنس والوسط والزمن. ويعني بالجنس ما يرثه الناس من المزاج والنفسية، وبالوسط الأوساط المحيطة بهم من مناخ وبيئة طبيعية، وأحوال سياسية واجتماعية ونحوها[6]. وهناك نوعان رئيسان من الأدب و/ أو الأدباء، هما: الأديب الملتزم والأديب غير الملتزم. والأديب الملتزم يكون صاحب رسالة في التنبيه، والشرح والتوجيه، لا يسمح لشاعريته أن تحيد عنها، ولا لقلمه أن يتجاوزها. أما الأديب الذي لا يتقيد بتلك الأهداف، بل يعبّر عن ذاتيته وعن تجاربه وعواطفه وانفعالاته، متحررًا من سائر القيود التي تحدّ من حريته في التعبير عن مشاعره فهو «أديب غير ملتزم»![7].

الأسير هو كل من يقع بين يدي عدوّه، في المعارك وغيرها من أشكال الصراع بين بني البشر. وورد في القاموس، بأن الأسير: من أُخذ في الحرب وقُبض عليه[8]. هناك عديد من القصص والحكايات التي وصلتنا حول الأسرى، عبر العصور، تتحدث عن كتاباتهم، وهم يتغنون بأمجادهم، أو يناجون الله سبحانه بالفرج ونيل الحرية، ومنهم من ناشد سجّانه الإفراج عنه.

في دراسة للروائي الأسير المحرر رأفت حمدونة الباحث في شؤون الأسرى، صادرة عن

مركز الأسرى للدراسات، يستخدم مصطلح «أدب السجون»؛ كل ما كتبه الأسرى عن السجن وغيره داخل الاعتقال، وليس خارجه، شرط أن يكون من أجناس الأدب كالرواية والقصة والشعر والنثر والخاطرة والمسرحية والرسالة، ويفرّق الباحث حمدونة بين «أدب السجون» المستوفي للشروط الأدبية، وبين «أدبيات وإنتاجات الأسرى الأخرى» التي كتبوها داخل الاعتقال، كالدراسات السياسية، والأبحاث التاريخية والأمنية والفكرية، والكتب في مجالات متنوعة، والترجمات من الصحف الإسرائيلية وغير ذلك من المجالات[9].

أما وزير الأسرى عيسى قراقع، فيستخدم مصطلح «أدب الأسرى»؛ أي كتابات الأسرى، التي كان منها الرواية والشعر والخواطر والقصص القصيرة والحكايات والمذكّرات والسرديات والمسرحيات والأبحاث والدراسات الأكاديميّة، والتي يرى قراقع أننا «نشهد في الآونة الأخيرة ثورة ثقافيّة حقيقيّة فيما يخص هذا الأدب»[10].

بالاستناد إلى ما ذُكر أعلاه، يرى الباحث أن الأدب قيد النقاش هو «أدب الأسرى»، ويرى أنه من نوع الأدب الملتزم؛ إذ كان كلٌّ من الكتّاب، قيد هذه الدراسة، صاحب رسالة واضحة، وهناك هدف قد سعى لتحقيقه. وعلى هذا الأساس سنناقش الأعمال الأدبية قيد الدراسة لاستخلاص تلك الرسائل، وما فيها من توثيق لمرحلة مهمة من تاريخ الشعب الفلسطيني.

## نماذج من أعمال الأسرى الأدبية:

يبين الجدول الآتي -رقم-1 الأعمال الأدبية قيد النقاش لاثني عشر عملًا أدبيًّا، كتبها (13) أسيرًا وأسيرة، قام الباحث بقراءة كل منها على حدة، قراءة نقدية تحليلية.

## جدول رقم (1)

## قائمة بأسماء الأعمال الأدبية لأسرى فلسطينيين؛ منهم محررون، والتي هي قيد الاستعراض في هذه الدراسة

| | الأسير–الكاتب | عنوان العمل الأدبي | نوع العمل الأدبي | سنة النشر | دار النشر | مكان النشر |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1) | الأسيرة المحررة ميّ الغصين | حَجَرُ الفُسيفِساء | سيرة روائية | 2021 | مركز بيت المقدس للأدب | رام الله |
| 2) | الأسيرة المحررة نادية الخياط | «احتَرَقتْ لتُضيء» | سيرة روائية | 2021 | وزارة الثقافة الفلسطينية | رام الله |
| 3) | الأسير محمد الطوس» | عين الجبل | كتاب سيريّ | 2021 | نادي الأسير الفلسطيني | رام الله |
| 4) | الأسير حسام شاهين | رسائل إلى قمر: شظايا سيرة | كتاب رسائل | 2021 | دار الشروق للنشر والتوزيع، | عمان ورام الله |
| 5) | الأسير أسامة الأشقر | للسجن مذاق آخر | كتاب توثيقي للسجن | 2020 | الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين | رام الله– فلسطين |
| 6) | جبريل الرجوب | نفحة يتحدث: 35 عامًا على معركة الأمعاء الخاوية. | التجربة الاعتقالية | 2015 | دار المناهج للنشر والتوزيع. | عمّان– الأردن. |
| 7) | الأسير المحرر وليد الهودلي | ستائر العتمة: تسعون يومًا من المواجهة الملتهبة. | رواية | 2015 ط10 | المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي. | رام الله |

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 8) | الأسير حسام شاهين | «زغرودة الفنجان» | رواية | 2015 | الدار الأهليّة. | عمّان- الأردن |
| 9) | الأسير المحرر صالح أبو لبن | البيت الثالث | رواية | 2013 | وزارة الثقافة الفلسطينيّة | بيت لحم- فلسطين |
| 10) | الأسيران المحرران: حافظ أبو عباية ومحمد البيروتي | نصب تذكاري لكاتبيْه | التجربة الاعتقالية | 2013 | وزارة شؤون الأسرى والمحررين. | رام الله- فلسطين |
| 11) | الأسير المحرر أسامة العيسة | «المسكوبيّة»: فصول من سيرة العذاب | رواية | 2010 | مركز أوغاريت الثقافي. | رام الله- فلسطين. |
| 12) | الأسيرة المحررة عائشة عودة | أحلام بالحرية، تشكل الجزء الأول من تجربتها الاعتقالية. | كتاب سيريّ- توثيقي | 2005 ط4 | المؤسسة العربية للدراسات والنشر | بيروت |

يلاحظ من الجدول أعلاه أن الكتّاب من الجنسين؛ فالأسيرات المحررات وثّقن لتجاربهنّ الاعتقالية، كما فعل الأسرى الذكور. كما يلاحظ أن نصف الأعمال الأدبية لمجموعة الأسرى هي أعمال روائية، تم بناء شخصياتها على أن تكون ذات صلة بالسجن والسجانين. وقد لاحظ الباحث أن تلك الروايات هي روايات سيريّة؛ يكون البطل في غالبيتها القصوى البطل الكاتب/ ة نفسه/ ا.

في قراءة متمعّنة، وجد الباحث أن الأعمال الأدبية قيد الدراسة توزعت على عدد من المجالات، أو لنقل العناوين المشتركة فيما بينها، منها:

## أولًا- توثيق لتجارب الأسيرات الفلسطينيات:

سلطت نادية الخياط في روايتها «احترقت لتضيء» الضوء على شرور السجن وأساليب التحقيق والبوسطة وعذابات الأسيرة. كما أن **عائشة عودة** في كتابها السِّيريِّ «أحلام بالحرية» أبرزت بشكل واضح وتوثيقي أساليب التعذيب التي استخدم فيها السجانون كل ما يمس كرامة النفس البشرية، وزدْ على ذلك الاعتداء المباشر على خصوصية الأسيرة، ويتم المشهد بمراقبة امرأة احتلالية، تستخدم قدمها في إغلاق فم بنت جنسها؛ لتمنعها حتى من الصراخ تحت وطأة الألم.

كما أن مي الغصين ونادية الخياط وعائشة عودة وثَّقن لتجربة الأسيرات الفلسطينيات في مواجهة السّجّان، بلا خوف أو وجل. ويشتركن في تحويل العزل الانفرادي، والزنزانة (بظلمتها البشعة) إلى رحلة ذكريات مع الأهل، والتجوال في شوارع قراهنّ ومدنهنّ وطرقاتها.

كما تشترك الأسيرات الفلسطينيات في إعادة تعريف الزمن؛ فزمن السجن ليس كزمن الحرية، بل هناك اختلاف جذريّ بينهما. كما يشتركن في الحديث عن زيارات الأهل – ما قبل الزيارة وما بعدها- وعن البوسطة (نقل الأسيرات) والمحكمة وما يحدث فيها من بؤس ووجع، لا يخلو من الفرح لرؤية الأهل. ولا تكاد تجربة روائية للأسيرات الفلسطينيات تخلو من مولد طفل/ ة في السجن، وعندما يكبر/ تكبر يتم انتزاعه/ ا من قبل السّجّانة ذات القلب المتحجّر.

وبرزت في هذه الأعمال الأدبية **شجاعة الأسيرة الفلسطينية** في مواجهة السجّان، وفي كل مراحل الاعتقال والتحقيق، كخوضهن تجربة الإضراب عن الطعام بنجاح، وحققن مطالبهن، بنفس الوتيرة التي نجح فيها الأسرى الذكور. كما أنهن وصلن ذروة الشجاعة عندما أدرن ظهرهنّ للباب المفتوح للإفراج عنهنّ؛ لإصرارهنّ على الخروج معًا، أو البقاء في الأسر معًا!

واستخدمت نادية الخياط عددًا كبيرًا من الأسماء الواقعية، مثل: نادية نفسها، وهو الاسم الحقيقي للبطلة، و«ثائرة» المولودة في السجن، وأمها «سميحة»، وزكية شموط، وتريز هلسة، **وعائشة عودة**، وحنان مسيح، وعطاف يوسف... الخ.

وهناك **إبداعات وابتكارات في استثمار الوقت**: فقد أتحفتنا «ميّ الغصين» في سيرتها الروائية باستعراض صور الفرح والابتسامة والاحتفال رغم القيد والسجّان، واستثمار الوقت في العمل والإبداع وابتكار الأفكار، حتى نشبت مع الاحتلال ما أسمته «حرب الألوان»؛ عندما ينتزع السّجّان مسبحة صنعتها، وقد قهرته ألوانها: الأحمر، والأسود، والأخضر، والأبيض -لأنها ألوان العلم الفلسطيني- وأصرّ على استخدام الأزرق والأصفر.

## ثانيًا- السّجّان شرس والتعذيب بلا حدود:

بالإضافة إلى ما تعرضت له الأسيرات من أنواع التنكيل والتعذيب، يلاحظ في الأدبيات التي تم تحليلها أن الروائيين قد وظفوا تلك الصور البشعة التي مارسها السجانون بحق الأسرى. فقد كانت الثيمة «القضيَّة» الروائيَّة، الرئيسة والثانويَّة لتلك الروايات، تشير إلى الأسْر وما يتعلق به من فقدان الحريَّة والظلم والتعذيب، وتسرد الأحداث محاولة السجّان القضاء المبرم على الأسير؛ معنويًّا وفكريًّا وماديًّا، مستخدمًا العديد من الآليات والأدوات، لكي يحيله من مقاومٍ صلب إلى مجرد إنسان هش- ضعيف تذروه رياح الاحتلال كيفما تشاء. وكانت «الزنزانة» واحدة من تلك الأدوات والآليات، بل أكثرها حدّة وأثرًا، عبر خصائصها المتنوعة، من حيث: الحجم، ومستوى الظلمة، والخدمات المتوفرة فيها، ومستوى الرطوبة التي تملأ أجواءها... الخ.

فهناك حالات تعذيب الأسرى حتى الموت كما في حالة الشهيد عمر شلبي[11]، والتمثيل بالشهداء؛ كما جرى مع الشهيد «أبو النصر» عندما فُصل رأسه عن جسده[12]، الشهيد «أبو نبهان» الذي تم تعليقه من قدميه بحبل في طائرة مروحية طافت أجواء القرية والقرى المجاورة ذهابًا وإيابًا[13]، والأسير «طلالقة» الذي تم جرّه وهو جريح حتى

تآكل جلد ظهره ورأسه، ثم تعذيبه بدافع الانتقام وليس بدافع التحقيق[14].

واتضح من رواية «ستائر العتمة» للأسير المحرر «**وليد الهودلي**» ما يتعلق بما يجري في أقبية الاعتقال، من تعذيب جسدي و/ أو نفسي؛ كاستخدام الشّبح وما يتركه من آلام، والكيس النتن الذي يحيط بالرأس إحاطة تامة، ووسائل التعذيب اللامحدودة التي يمارسها المحققون، بلا هوادة، حتى إنه بعد وفاة أحد الأسرى بين أيديهم ذهبوا يفرحون ويمرحون بلا وازع من ضمير.

فقد كانت قصص التعذيب في سجون الاحتلال هي الطاغية على السرد الروائي في رواية «المسكوبيَّة»، حيث يصف «العيسة» عمليات التحقيق وآلامها المتمثلة بالشبح، بأنواعه المختلفة، في ليالي الثلج والليالي الممطرة، ورؤوس الأسرى المطوقة، بإحكام، بـ«كيس الخيش الغارق بالبول»، وقد يضعون كيسًا آخر فوقه، ويربطون الأيدي من الخلف، ثم يتم إيقافه تحت مزراب ماء، رغم الأمطار المنهمرة فوق رأسه[15]، وفي ظل ذلك يُحرم من الأكل والسجائر والماء وقضاء الحاجة[16].

فقد وصف صالح أبو لبن في روايته «البيت الثالث» البركسات المزدحمة بالأسرى؛ فالبركس الذي يتسع لعشرة أشخاص «يُحشر» فيه مائة أسير[17]. وأما الرجوب و«الهودلي» وأبو عباية والبيروتي والعيسة، فقد تركوا للأجيال القادمة وللباحثين وصفًا، بل تصويرًا دقيقًا، لما يجري في أقبية التحقيق من تعذيب نفسي وجسدي، كما تميز «الهودلي» والعيسة بإسداء النصائح لكل من يمر بتجربة الأسْر، في كيفيَّة الصمود والمواجهة حتى اللحظة الأخيرة.

## ثالثًا- الاحتلال بلا أخلاق؛ يوظف الطبّ لتعذيب الأسرى:

لقد جاء في **المحطة الثانية** من كتاب أسامة الأشقر «للسجن مذاق آخر» أن أجهزة الاحتلال هي من تستغل حاجات المرضى والمعوزين والسّاعين لكسب أرزاقهم لتحويلهم إلى فخاخ، تُمكّن الاحتلال من الانقضاض على المناضلين في مناطق عملهم.

وإن الأمثلة التي ساقها الكاتب تجعلك تدور حول نفسك من شدة الألم الذي تتركه في نفسيتك أولًا، من وطأة الشعور بالخسارة الوطنية الفادحة التي ندفعها بأيدينا لا بيد العدو، أو لنقل إنها تُقدّم للاحتلال على طبق من ذهب.

ويجمع الكتّاب، خاصة **الرجوب والعيسة**، على أن الاحتلال يوظف القضاء والطب والهندسة في الإمعان في تعذيب الأسرى الفلسطينيين وتبرير القضاء عليهم نفسيًّا ومعنويًّا وجسديًّا، وأن الأطباء والممرضين يقومون بمهام التعذيب بلا هوادة وبلا وازع من ضمير، ويقوم المهندسون بتصميم الزنازين وغرف التحقيق بما يضمن عدم تمتع الأسير بالطبيعة ولا بأي شكل من الأشكال.

كما أن القضاء يمعن في إطلاق الأحكام على الفلسطينيين في المعتقلات الصهيونية، فالأحكام تصدر مسبقًا، وليس لعلوم القضاء أي دور فيها، وإنما تتم تحت مظلتها عندما يتحول قسم التحقيق إلى مسلخ، وعندما يتعب المحقق ينوب عنه آخر، والطبيب لم يعد طبيبًا؛ بل إنه يعامل المريض- الأسير بتقزز، ولا يتورع في استخدام سماعته كأداة لضرب الأسير.

ويضاف إلى ذلك أن مشفى بئر السبع كان يسمى مقبرة الأحياء، عند الإشارة إلى أنه عندما تم نقل الشهيد «عبد القادر أبو الفحم» المُصاب بواحدة وسبعين إصابة في مختلف أنحاء جسده إلى ذلك المشفى أبقي عليه مربوطًا بالسرير[18].

ويشير «الرجوب» إلى لجوء سلطات السجن إلى استعمال العنف الجسدي لكسر إرادة المضربين عن الطعام؛ من أجل إيقاف إضرابهم (بالقوة). كما يتم تشكيل لجنة «تحقيق!» تصدر تقريرًا مليئًا بالأكاذيب والتضليل ويخفي العديد من المعلومات والبيانات والبيّنات، مثل: تكسير عظام وأسنان بعض الأسرى، وعدم الإشارة إلى إدخال أربعة مضربين عن الطعام إلى مشفى سجن الرملة.

بهذا؛ نتوصل إلى نتيجة مفادها أن علماء الاحتلال قد وظفوا معرفتهم العلميَّة في خدمة

السجّان، الذي يسعى إلى سلب إرادة الأسير وإفقاد بعده الإنساني. وهنا؛ نجد أنفسنا أمام السؤال الإستراتيجي التالي: كيف أدى هؤلاء قسم تخرجهم من الجامعات، الذي يقوم جوهره على خدمة الإنسانيَّة جمعاء؟! أليس في ذلك خروج عن العرف الإنساني، وخروج عن الشرعية الدوليَّة؟! وهـل يبقى للأكاديمية الاحتلاليَّة مصداقيَّة بعد هذا كله؟! وفوق كل ذلك نجد أنَّ رئيسـة وزراء الدولة العبريَّة «غولدا مائير» شكت يومًا من أن الفلسطينيين أجبروا الإسرائيليين على أن يكونوا قساة[19].

## رابعًا- الأسرى يتعرضون لتشويش ثقافي ومعرفي:

حتى السبعينيات، لم يكن في السجن أي إمكانية لاستخدام الورق للكتابة، فقد ورد في كتابات أبو عباية والبيروتي أنه كان يمنع عن الأسرى الأقلام والأوراق منعًا باتًا[20]. كما كان السجانون يلاحقون كل ما يُكتب على الورق لمصادرته وإتلافه؛ مثل مؤلفات «أبو النصر» وكتاباته التي ضاعت نتيجة المصادرات وعمليات التفتيش شـبه اليومية[21]. وقد أصدر الأسـير محمد أبو لبـن مجلة «النهضة»؛ بإمكانـات متواضعة[22]، وأصدر «مصطفى اخميس» مجلة «ابن الخيمة»؛ باستخدام ما تيسر من مواد تصلح الكتابة عليها كأغلفة الأغذية وعلب السجائر الفارغة وكل ما يسقط في يده[23].

كـما أن الاحتلال يحرم الأسرى مـن التواصل مع محيطهم الثقـافي والمعرفي. وكانت الكتب التي يسمح بإدخالها إلى السجن في حقبة سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، هي كتب الجان، وعذاب القـبر والخزعبلات، وما يعنيه ذلك من محاولات الاحتلال «تشويش» المسـتويات الثقافيَّة والمعرفيَّة للأسرى. من جانبٍ آخر؛ يشير «**الرجوب**» إلى أنه كان يُفرض على الأسرى كتب ذات أبعاد ثقافيَّة تأتي على شـكل حقن سامة من خلال الكتب التي يُسمح بإدخالها للأسرى[24].

## خامسًا: توثيق للبطولة وتوظيف روائي لها:

فقـد برز في رواية «**نادية الخيّاط**» بوضوح ما يتعلـق بالتضحية من أجل الوطن، رغم قسوة الظروف وشراسة السجان، والفارق الكبير في القوة والعتاد، فكانت البطلة ومن

معها من الأسيرات يبدين مقاومة قوية لأي محاولات من قبل السجّان تمس بكرامتهن أو بروحهن الوطنية، دون الالتفات إلى الثمن الذي يمكن أن تدفعه الواحدة منهنّ من عزل أو سجن انفرادي أو نقل تعسفي... الخ.

كما أن الأسيرة المحررة «عائشة عودة» وثقت للحظة الفاصلة بين الانهيار بين يديّ المحقق، أو الصمود؛ إذ تشير في «أحلام بالحرية» إلى أنها «**في لحظة ما، ما فتئت أن استعادت قدرتها على الصمود والتحدي، أيًا كان الثمن، ونجحت في ذلك**».

وفي سرديات أبو عباية والبيروتي والرجوب، نلمح قصصًا عن أبطال خارقين في الصمود والمواجهة، قدَّموا حياتهم ثمنًا لإصرارهم على مواجهة السّجّان بإرادةٍ صلبةٍ، خاصة في مراحل الإضراب المختلفة، منهم: علي الجعفري، واسحاق مراغة، وعمر القاسم، وراسم حلاوة، وهاني العيساوي، وأنيس دولة... الخ.

ولأن قصص البطولة- المفخرة متعددة وكثيرة، ولا يتسع المجال لذكرها، فإنني أكتفي بالإشارة إلى بطولة واحد من الشهداء- الأسرى الذين تكرر ذكرهم في هذه الأدبيات، وهو الشهيد علي الجعفري، الذي شكَّل مع الشهيد راسم حلاوة رمزًا ثنائيًّا[25] من رموز معركة الأمعاء الخاوية في سجن نفحة الصحراوي، عام 1980، تلك المعركة التي حملت اسميهما معًا.

كما قام العيسة، في روايته «المسكوبيَّة»، بتوظيف قصص البطولة والصبر لأولئك الشهداء ولغيرهم، مثل: قاسم أبو عكر، والشهيد العجوز «محيي الدين علان العوري»[26]، وأعداد أخرى من الشهداء الذين قضوا في زنازين المسكوبيَّة، بعضهم عانقت روحه سماء القدس فجرًا وهو مشبوح، أو وهو يتحدّى ساديَّة محقق هاجر إلى القدس من بلاد بعيدة، ليعذّب شبابها، كالشهيد غسان والشهيد «أمون النوري». ولا يمكننا نسيان المرحوم «الأسير- أبو السكر» الذي خاض (13) إضرابًا عن الطعام طوال فترة أسره التي امتدت إلى (27) عامًا[27].

## سادسًا: توظيف للأحداث التاريخية:

تشــكل الأعمال الأدبية قيد النقاش، منفردة ومجتمعة، مصادر مهمة للتوثيق لأحداث مرّ بها الوطن الفلســطيني، ومنها ما يمتد إلى الجوار العربي. ولعلها تتميز بتطرقها إلى وجــود «الطابور الخامس» من الانهزاميين والجبنــاء؛ وهي شريحة مجتمعية تظهر عادة في المجتمعــات التي تتعرض لاحتلال خارجي. وفي غالبية هذه الأعمال نجد أن هناك توظيفًا للأحداث التاريخيَّة التي مرّت بها القضيَّة الفلسطينيَّة، بما يشبه الرواية التاريخيَّة:

– فقد شــكلت سرديات محمد الطوس في كتابه «عين الجبل»، في مجموعها، سيرة زمان ومكان، عندما يستعرض الأحداث التي مرّ بها شعبنا خارج الوطن، خاصة في لبنان، ويمتــد في متابعة هموم الأمة، حتى يصل إلى مصر وســوريا والعراق وليبيا، محذّرًا من المشروع الاستعماري الغربي الذي يستهدف إضعاف الأمة، من أجل الإبقاء على دولة الاحتلال «إسرائيل» بكامل قوتها وعنجهيتها، وبذراعها الممتد من المحيط على الخليج؛ فهو يؤمن بأن «**حياة الإنسان المناضل لا تنفصل عن كل ما يحصل حوله**».

– وفي رواية المســكوبية لأســامة العيســة، تم توظيف معلومات مهمة تتعلق بأفعال الانتداب البريطاني بحق الشعب الفلسطيني, فلم يبنِ جامعات ولا منشآت علميَّة أو صحيَّة، بقدر ما بنى (حصون تارجت) لتكون مبانيَ أمنيَّة وعسكريَّة بريطانيَّة لاعتقال الثوار وتعذيبهم[28]. ويوظف العيســة أحداث الانتفاضتــين الأولى والثانية. كما يكاد صالح أبو لبن ينفرد بتوظيف الأحداث التي أجّجت الثورة الفلســطينية منذ البدايات الأولى لاحتلال ما تبقى من الوطن الفلسطيني عام 1967م.

– أمــا صالح أبو لبن في روايته «البيت الثالث»، فيوثق لجزئيَّة زمانيَّة ومكانيَّة من الكل الفلســطيني الذي خُطِّطَ له أن يعاني من الفقر المدقــع، والجهل القاتل؛ نتيجة الإفقار والتجهيل الذي فرضته عليه الاحتلالات الســابقة، آخرها الإنكليز؛ لينتهي به الأمر لقمةً على مائدة الحركة الصهيونيَّة التي كانت قد أعدت العدة للانقضاض على الأرض

والشعب لإخراجه من دياره، بغير حق، واجتثاثه من جذوره لينتهي الأمر بفلسطين «أرض بلا شعب؛ لتحتضن شعبًا بلا أرض!».

– كما أن ««زغرودة الفنجان» لحسام شاهين» ذات ثيمة، جوهرها الصراع القائم على أرض فلسطين بين المحتل المغتصب المتغطرس، وبين الشعب صاحب الحق، وما يتم استخدامه من أدوات ومنهجيات وآليات عمل في هذا الصراع.

– وهنا لا بد من الإشارة إلى أن «**حسام شاهين**» في روايته «زغرودة الفنجان» **سيبقى المرجع المهم** كلما حان الحديث عن انتفاضة الأقصى، وما جرى فيها من أحداث. ليس لأن ما كتبه هو كتاب تأريخ لتلك الانتفاضة، بل لأن ما كتبه يتراوح بين الحقيقة والإيهام بها، وما بينهما من خيط رفيع يدركه القارئ الحذق، مما يجعل الأحداث والمشاهد الموصوفة في النص الروائي، مصدرًا للمعرفة حول ما جرى في تلك الفترة.

## سابعًا: الأسرى يعمقون العلاقات فيما بينهم ويبدعون في الصمود واستثمار وقت السجن:

يتضح من الأعمال الأدبية، قيد النقاش، أن الأسيرات والأسرى، في الحقب الزمنيَّة المختلفة، قد تبنّوا الفلسفة القائمة على أن الصراع مع السَّجَّان يتطلب الكثير من اليقظة والانتباه الدائمين؛ حتى لا يقع الأسير في أي خطأ أمام السجَّان و/ أو المحقق؛ لحرمة الإفصاح عن أي شيء يفيد الاحتلال، وأن يعدّ نفسه «جيدًا للمفاجآت كافة، مهما كان مستواها. وإذا قال (الأسير) قصة للمحقق فيجب أن يصدّقها بتفاصيلها، لأنه سيظلّ يُسأل الأسئلة نفسها، ولأن أيّ خطأ سيؤثر على أصحابٍ ومناضلين، وعندما يُنهك الجسد فإن الدماغ يبقيك على قيد الحياة في السجن؛ ولا توجد حياة دون هذا العضو العجيب.

فهم يرون أن الأَسْر لم يكن مانعًا لاستمرار الحياة، ولم يكن السجن هو حد القطيعة بين الأسير وحياته الطبيعيَّة، فقد تحدوا الاحتلال وقمعه ووحشيته؛ بأن كانت عيونهم ترنو، دائمًا وأبدًا، نحو الحريَّة والتحرر لإنشاء أسرٍ من نطفهم تجعل جمار الثورة متقدة

إلى أن يعود الحق إلى نصابه؛ بأن تعود فلسطين إلى أهلها.

وهناك عديد من المظاهر الدالة على سعي الأسرى الفلسطينيين، في الحقب المختلفة، إلى إضفاء أجـواء من الراحة ومقاومة حالات القلق والتوتر، بالأغنية الهادفة، والقصيدة الموجهة التي تعيد الأمـل إلى النفوس؛ كقصائد «محمد أبو لبن» وراجح السـلفيتي، وممارسة الرياضات المختلفة، كما هي حالة «عدنان محمديَّة» الذي كان لاعب شطرنج لا يضاهى[29]، و«رخا» الذي كان مبدعًا في هذه اللعبة[30]. و«شـداد عطوة» صاحب الاختراعات؛ يجمع أصابع معجون الأسـنان المعدنيَّة الفارغة ويقوم بعمليات تحويليَّة لها؛ عبر القص وإعادة التركيب، ويستخدم الخيوط المسحوبة من البطانيات لتجميعها، ويصنع منها محركات تدور بقوة الماء المتدفق من صنبور المغسلة[31].

ففـي رواية «**تحترق لتـضيء**» لنادية الخياط، تمضي البطلة مائة وخمسـة أيـام في أقبية التحقيق، في صيف عام 1979م، ثم تنتقل البطلة إلى السـجن مع رفيقاتها في الكفاح، وفي الهـمّ الوطنيّ. فتبدأ الأيام تمر برتابة وتكرار يتخلله صعودًا وهبوطًا في الأحداث، وما يصاحب ذلك من توتّرات مع السّـجان الذي تواجهه الأسـيرات دون خوف أو وجل. ولعلّ ذروة الذكاء والقدرة على التأثير على معنويّات السـجان، مشهد استقبال الأسيرات الأحكام العالية برحابة صدر وابتسـامة أغاظت السجانين جميعًا ورفعت من معنويات الأسيرات؛ الأمر الذي حطّم النظرية الاحتلالية القائمة على أن الأحكام العالية تحبـط الثوار وتثنيهم عن المضيّ في طريقهـم في محاربته، فتكون النتيجة عكس ذلك تمامًا، و**بعد بضع سـنوات تخرج الأسـيرات إلى النور، وتعـود لمحاربته، ويبقى السّجّان مكانه يعيش عقدة الجرم الإنساني في حالة من اليأس والقنوط والإحباط.**

وعند العزلة في الزنازين، يجب أن يمنع الأسـير نفسه عن التفكير بأسرته، وأن يبتدع الأسـاليب المختلفة لتفريغ طاقته الفكريَّة والإنسانيَّة، وأن يشغل نفسه طوال الوقت، وعليه أن يدرّب نفسه على ذلك. وهناك واحد من أشكال إهمال السجّان وأثره، عندما صـادق أحدهم الفئران التي تعيش في الفتحة، والتي أصبحت نقطة الوصل بينه وبين

العالم؛ فجلبت له شـيئًا أعانه على الحفر على الحائط، ونقش على الباب شـعارات كان يؤمن بها، تؤكد على الصمود وعدم الاعتراف[32].

أما بشأن العلاقات بين الأسرى، داخل السجون، فإن «**العيسة**» في روايته «المسكوبيَّة» يرى أن «الأسير للأسـير نسيب»[33]؛ في إشـارة إلى روح التعاون والتعاضد المطلوبة للصمود في وجه المحققين، وفي ظل الظروف التي يعيشونها.

## ثامنًا- الأسرى يشقّون جدران السجن ويديرون حياة شعبهم:

لقد اعتاد المجتمع الفلسـطيني أن الأسرى يبدعون في خلق حالة من التواصل الدائم مع مجتمعهم، ويتدخلون في كل ما يجري خارج السجن على تواصل دائم، بل ولحظي، مع الحدث اليومي، فكثيرًا ما كانت مرابض الأسرى هي الجهة التي تأتي منها التعليمات الواضحـة والناضجة لإدارة الأزمات التـي يمر بها أهاليهم على مسـتوى الأفراد، والأسر، والجماعـات والمجتمعـات. فقد ورد في هذه الأعـمال الأدبية أن الأسرى- الكُتَّاب قد وظفوا هذه الظاهرة أحسن توظيف، منها:

- في **المحطة الثالثة** من «رسـائل إلى قمر» لحسام شـاهين، يتناول الفأس واستخدامها بوجهـين: البناء والتخريب، وفي الثـاني يوجّه حبيبته قمر بأن تكـون متعددة الثقافة والمعرفـة، وما يعنيه من انفتاح على الثقافات والمعارف والابتعاد عن التعصب. وذلك كله من أجل المحافظة على مجتمع يحفظ أبناءه ويحافظ عليهم.

- وفي رواية البيت الثالث لصالح أبو لبن، يقول البطل (الأسير) لوالدته، عندما تبلغه بلغة الدموع: «يمه.. اليهود نسفوا دارنا، ودور أصحابك»: «فليعدموني أو ليعملوا بي ما شاء لهم ولا ينسفوا الدار»[34]. وفي ذلك مثال حي على الاستمرار في التضحية، دون التوقف عن السجن وعذاباته، وإنما حتى الموت دفاعًا عن راحة الأهل وحريتهم.

- ويصف أبو عباية والبيروتي، في عدد من القصص، كيفيَّة التواصل مع الخارج، عندما اخترقوا جدران السجن وشـتتوا ظلمة الزنزانة بالتخطيط للزواج والإنجاب وإنشاء

الأسر عند الخروج من الأسْر، وقد كان لهم ذلك بالفعل.

## تاسعًا- المرأة الفلسطينيَّة تأخذ مكانتها في الصراع مع الاحتلال:

هناك شبه إجماع بين الأسرى الكتَّاب في الأعمال الأدبية قيد النقاش على إبراز دور المرأة الفلسطينيَّة في الصراع مع الاحتلال، في مراحل الكفاح كافة. وهو دور جوهريّ يتراوح بين الدعم والإسناد والتغطية على الثوار؛ ويصل حدَّ التضحية المباشرة بالنفس شهيدة على درب الحريَّة والتحرر.

فها هي الأسيرة المحررة «عطاف يوسف» تقترن بـ«خضر قطامي»، رغم علمها أن حياتها سوف تتبدل لتصبح زوجة وأمًّا ومناضلة وممرضة ثم أرملة؛ وأمًّا لأيتام، فكان لها ما توقعت؛ حيث استشهد زوجها «الأسير قطامي» بمرض السرطان. وها هو إسماعيل الدبج يتزوج «عطاف عبد المجيد حمدان»؛ شقيقة رفيق زنزانته[35]. وكذلك نجد أن الأسير «فوزي النمر» يتعرف على الأسيرة المحررة «فاطمة البرناوي» فيتزوجان في الجزائر[36].

وفي **المحطة الرابعة** من «رسائل إلى قمر» لحسام شاهين، تأخذ المرأة نصيب الأسد في النصوص، بدءًا بنص «**امرأة بألف رجل**»، يليها «**مناضلة من القدس**»، ثم «**نجمة في سمائنا**» (ويقصد سهى بشارة، تلك النجمة القومية المضيئة في سماء أمتنا العربية). «ويستمر في هذه العناوين الجاذبة وصولًا إلى «**التحدي والاستجابة**» و«**الحرية والتمرد**».

كما أشار «**أسامة العيسة**» في خطبة الكتاب إلى الصحافيَّة والأديبة «سَاذَجْ نصّار»؛ أول امرأة مثقفة تعتقل في حصون تارجت، وكان ذلك في شباط عام 1939، وأمضت نحو عام في السجون. وقد وقفت إلى جانب زوجها في مقاومته للإنكليز، الذي كَتبَ لها وهي في السجن، رسالة لطيفة مليئة بالحبّ، ذكر فيها أنه إذا لم يدخل التاريخ بسبب صحيفته (الكرمل)، فسوف يدخله بسبب زوجته التي تعتبر أوّل سيدة تدخل زنازين

الاحتلال البريطاني[37].

أما «صالح أبو لبن» في روايته «البيت الثالث»، فلم يمر حدث، ولم يُذكر نشاط وطني، ولم تُذكر مجموعة عسكريَّة، ولم يتم اعتقال إلا وكانت المرأة حاضرة فيه بقوة.. وأما أبو عباية والبيروتي، فتتجلى في كتابهما «نصب تذكاري»، **قصص الحب والحرب**: فلم يكن الأَسْر مانعًا لاستمرار الحياة، ولم يكن السجن هو حد القطيعة بين الفلسطينيين وحياتهم الطبيعيَّة، فقد تحدوا الاحتلال وقمعه ووحشيته؛ بأن كانت عيونهم ترنو، دائمًا وأبدًا، نحو الحريَّة والتحرر لإنشاء أسرٍ من نطفهم تجعل جمار الثورة متقدة إلى أن يعود الحق إلى نصابه؛ بأن تعود فلسطين إلى أهلها.

وكذلك الأمر في رواية «حسام شاهين» «زغرودة الفنجان»، التي لعبت فيها المرأة أدوارًا رئيسيَّة، بشقيها الإيجابي البنّاء في الدفاع عن الوطن، والسلبي الهدام المرتبط بالاحتلال وأهدافه الشريرة، جعلت منها بطلًا رئيسًا لروايته، وكانت هي الفيصل في العديد من الأحداث والمشاهد.

## كلمة ختاميَّة،

تعرض الباحث في هذه الورقة إلى الملامح الرئيسة، التي تتصف بها حياة الأسرى وممارسات الاحتلال ضدهم، التي تمكنوا من مواجهتها والتغلب عليها بصدورهم العارية. كما أن هناك دورًا قام به هؤلاء الكتّاب- الأسرى أو الأسرى- الكتّاب في التوثيق لمسيرة الثورة وأثرها السياسي والاجتماعي على الشعب الفلسطيني في مراحل كفاحه المختلفة، عبر سرد حكاياتهم في الأجناس الأدبيَّة المختلفة. ففي الرواية، تم توظيف تجارب الأسر في سرديات روائيَّة جميلة تؤسس لأن تكون أفلامًا (وثائقيَّة) توثق لمسيرة الشعب الفلسطيني، وفي السرد القصصي- السّيريّ توثيق حيّ ومباشر لما جرى بين جدران السجن من صراع بين الجلّاد الاحتلالي والأسير الصابر المرابط المتمسك بحقه في العيش الكريم.

إننا نترحَّم على شـــهداء الأسر، الذين ســـتبقى بطولاتهم حقائق راسخة ناصعة إلى أن يرث الله الأرض ومـــن عليها، كما نتوجّه بالتحيَّة إلى الأسرى والأســـيرات الكتّاب، ســـواء المُحرّرين منهـــم أم الرابضين في زنازين المحتلّ، على مـــا أنتجوه من فكر حتى اللحظة، وما يخططون له من إبداعات قادمة، ننتظرها لكي نشبعها بالقراءة والتحليل.

## توصية

يوصي الباحث الكتَّاب، كل قدر اســـتطاعته، بضرورة التأليف والتوثيق لكل شـــأن من شؤون الأسْر والأسرى، على شـــكل كتب ورقيَّة تبقى ذخرًا للأجيال من جانب، وتضمن وصول روايتنـــا الوطنيَّة (الحقيقيَّة) إلى أبناء أمتنـــا، وإلى أصدقائنا من الأمم الأخرى؛ القادرين على بث روايتنا في نفوس أبناء شـــعوبهم. وفي هذا الســـياق، نجد أنفسنا أمام ضرورة إيصال تجارب الأسرى إلى الأمم الأخرى بلغاتهم؛ ما يعني ضرورة الشروع في ترجمة الأعمال الأدبية الأخرى.

كما نتوجه إلى صانعي القرار، على المســـتوى الوطني بضرورة دعم وإسناد الإبداعات التوثيقيَّـــة الخاصة بالأسرى، لاســـيما القضايا الحقوقية للأسرى، وتســـهيل إنجازها وتوفير السبل الكفيلة بتوســـيعها حتى تصبح روايتنا الوطنيَّة مستوعبة ومفهومة على أوســـع نطاق ممكن؛ الأسرة والمدرسة والجامعة... الخ. لأننا نواجه نقيضًا لنا على هذه الأرض، يعمل ليل نهار على نسف روايتنا ومحو حضارتنا وإنكار وجودنا التاريخي على هذه الأرض، وإنشاء كيان مزيّف مكانه.

## المراجع والمصادر


1 – تفيد آخر الإحصاءات بأن العدد الإجمالي للأسرى والمعتقلين الفلسطينيين نحو (4400) أسير ومعتقل -بينهم (32) أسيرة وقرابة (160) طفلًا- موزعين على نحو (22) سجنًا ومعتقلًا ومركز توقيف، منهم (25) أسيرًا معتقلين منذ ما قبل «أوسلو»، و(148) أسيرًا مضى على اعتقالهم أكثر من 20 سنة بشكل متواصل، و(600) أسير مريض يعانون الإهمال الطبي المتعمد، و(500) معتقل إداري. ومنهم (547) أسيرًا يقضون أحكامًا بالسجن المؤبد، لمرة واحدة أو لمرات عديدة. وأعلاهم حكمًا الأسير عبد الله البرغوثي، المحكوم لـ(67) مؤبّدًا. أقدمهم الأسيران كريم وماهر يونس المعتقلان منذ ما يزيد على 39 سنة على التوالي. هذا بالإضافة إلى وجود عشرات من الأسرى الذين أفرج عنهم ضمن صفقة «وفاء الأحرار» وأعيد اعتقالهم وأبرزهم الأسير نائل البرغوثي الذي أمضى ما يزيد على 41 سنة على فترتين. يُنظر: الموقع الإلكتروني لمجلة البيادر، وفق الرابط:

https://www.al-bayader.org/2022/03/548204/ (accessed at 19/3/2022).

2 – أمين، أحمد (1963). النقد الأدبي في جزأين: جزؤه الأول في أصول النقد ومبادئه، وجزؤه الثاني في تاريخه عند الإفرنج والعرب. الطبعة الثالثة. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة، مصر. ص: 405، 8، 24.

3 – أمين (1963)، 28.

4 – إذا تم نقل الفكرة إلى القارئ، حرفيًا، لا يعد أدبًا. وإذا كانت الفكرة مصحوبة بعاطفة فيصبح أدبًا. أما إذا كانت العاطفة هي المقصد الأول والفكرة تأخذ مجراها في ذهنه عن طريق مشاعره، فهذا يسمى الأدب الجميل أو الأدب الصرف، سواء كان شعرًا أو نثرًا (أمين، 1963: 55).

5 – إبراهيم، عبد الله (2012). المحاورات السردية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، لبنان. ط1. ص: 29.

6 – أمين (1963)، 7 – 8.

7 – طبانة، بدوي (1984). قضايا النقد الأدبي: الوحدة، الالتزام، الوضوح والغموض، والإطار والمضمون. دار المريخ للنشر. الرياض، المملكة العربية السعودية. ص: 15.

8 – قاموس براق. وفق الرابط:

https://www.alburaq.net/meaning/أسير (accessed at 18/03/2022).

9 – حمدونة، رأفت (2016). أدب السجون لا ينفصل عن الأدب العربي. الموقع الإلكتروني لـ «مركز الأسرى للدراسات». يُنظر الرابطان:

https://alasra.ps/ar/index.php?act=post&id=27645 (accessed at 18/03/2022).

https://alasra.ps/ar/uploads/documents/888b6605535abd479ec8e25d07a2795e.pdf (accessed at 18/03/2022).

10 – حج محمد، فراس (2022). ندوة دولية عبر زوم لمناقشة أدب الأسرى الفلسطينيين. ديوان العرب. يُنظر الرابط:

https://www.diwanalarab.com/ندوة-دولية-عبر-زوم-لمناقشة-أدب-الأسرى/ (accessed at 18/03/2022).

11 – أبو عباية، حافظ، والبيروتي، محمد (2013). وزارة شؤون الأسرى والمحررين. رام الله. فلسطين. ص: 154.

12 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 119.

13 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 164.

14 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 182.

15 – العيسة، أسامة (2010). المسكوبيَّة –فصول من سيرة العذاب– (رواية). مركز أوغاريت الثقافي. رام الله. فلسطين. ص: 19.

16 – العيسة (2010)، 40.

17 – أبو لبن، صالح (2013). البيت الثالث (رواية). وزارة الثقافة الفلسطينيَّة. بيت لحم–مخيم الدهيشة. ص: 266.

18 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 116.

19 – أبو لبن (2013)، 266.

20 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 40.

21 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 119.

22 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 132.

23 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 91.

24 – الرجوب، جبريل (2015). نفحة يتحدث: 35 عامًا على معركة الأمعاء الخاوية. دار المناهج للنشر والتوزيع. عمّان. الأردن. ص: 122.

25 – استشهد «علي الجعفري» في 22/ 07/ 1980م، وبعده بيومين بالضبط استشهد «راسم حلاوة»، وأصبح إسحق مراغة على شفا الموت (يُنظر: الرجوب (2015)، 92).

26 – هو أحد ثوار 1936م، واعتقل لأول مرة عام 1968م، وأمضى في زنازين التحقيق فترة طويلة،

دون أن يتمكنوا من أخذ كلمة واحدة منه، ودون أن يعرف أهله في بيت عور شيئًا عنه، ثمّ اعتقل مرة ثانية، واعترف عليه، هذه المرة، اثنان من زملائه، وبقي متماسكًا، حتى أسلم الروح في بركة الصقيع، وكان ذلك في آذار/ 1970 (يُنظر: العيسة (2010)، 69–70).

27 – أبو عباية والبيروتي (2013). ص: 157.

28 – العيسة (2010)، 19–24.

29 – أبو عباية والبيروتي (2013). ص: 41.

30 – أبو عباية والبيروتي (2013). ص: 109.

31 – أبو عباية والبيروتي (2013)، 207–208.

32 – العيسة (2010)، 42–43.

33 – العيسة (2010)، 35.

34 – أبو لبن (2013). ص: 104.

35 – أبو عباية والبيروتي (2013). ص: 84.

36 – نفسه. ص: 150.

37 – العيسة (2010)، 19–24.